دور المتاحف الجامعية فى تطوير الجانب التعليمى والتربوى

عصام عيسى آدم
وكيل المتحف الآتونى

مقدمة :

قام المجلس الدولى للمتاحف بتعريف المتحف على أنه مؤسسة دائمة غير هادفة للربح هدفها خدمة المجتمع وتطويره، وهو يفتح أبوابه للجمهور، ويهدف إلى إحراز تقدم فى مجال البحث العلمى والحفظ والتواصل والعرض بما يخدم العملية الدراسية والتعليمية والترفيهية كما يُعد دليلاً مادياً على نشاط الأفراد وبيئتهم .

إن خدمة المجتمع وتنميته ربما يتطلب الأمر بعض التفهم للدور الفعلى للمتحف بوصفه أداة إرشاد لأنشطة المتحف أياً كان هذا المتحف وبما أن عملية تطوير المجتمعات من الممكن إدراكها بطرق مختلفة فإن الكثير من المؤسسات لديها عادة اتخاذ وجهة نظر أكثر وضوحاً خاصة تجاه الاستخدام السياسى للمتحف .

التطوير :

ومصطلح التطوير يمكن تعريفه من خلال المصطلحات الإقتصادية ويوصف بأنه " حركة موحدة تجاه إحدى حالات الصناعة القصوى والتقنية الحديثة، والنتاج القومى الإجمالى والمستويات المادية للمعيشة " أو من خلال المصطلحات الفلسفية بوصفه " تقدماً يتطلب فى حد ذاته تطوراً بإتجاه هدف معين " وهذه التعريفات قد تبدو بسيطة إلى حد ما من الناحية النظرية ولكنها فى الحقيقة عادة ما تكون أكثر تعقيداً حيث أنه فى الحياة الواقعية لابد أن يتولى الناس إدارة العديد من المصادر المادية وغير المادية ذات القيمة المتساوية بالنسبة لهم سواءاً تعاملوا مع أحداها مفردة أو كليهما معاً فربما يدركوا مبدأ التطوير على أنه كل هذه الأشياء وأكثر. [١]

الجانب التعليمى والتربوى والبحث العلمى :

منذ أكثر من خمسة وستين عاماً مضى فلا زال يلح على الأذهان سؤال وهو: هل حقاً المتاحف تعليمية بشكل جوهرى أى تستطيع أن تقوم بالناحية التعليمية على أكمل وجه وبدون حدود أم لا ؟ هناك عدد من المتاحف اتجهت إلى الناحية التعليمية وحمل موظفيها على عاتقهم الإهتمام بالثقافة والتعليم فى المستوى الاول. كما هو معلوم أنه فى بداية القرن التاسع عشر كانت المتاحف عبارة عن مؤسسات تعليمية بمعنى الكلمة . ٢

هذا بالإضافة إلى أنه مؤخراً أصبحت المتاحف تلعب دوراً هاماً جداً فى الناحية التعليمية أى إنها أصبحت من أعظم المهام التى تحتل المركز الأول من إهتمامات المتاحف بشكل عام.

لم يكن مصطلح تعليم مندرج حينذاك ولكن كان المصطلح الأكثر تداولاً هو تفسير أو شرح أو توضيح أو نقل أو ترجمة وما إلى ذلك .

أياً ما يكون المصطلح الذى يندرج تحته ما يتضمن معنى التعليم فإن الناحية التعليمية تعد من أهم وأعظم الأدوار التى تؤثر فى المتاحف بشكل عام . [٣]

أصبح التعليم المنهجى الذى يحتاجه العامة محدود ، وبالنسبه للمراحل الأولى من التعليم التى تقتصر على القراءة والكتابة فإننا نجد أن هناك بعض العوائق التى تواجه المنهج الدراسى التعليمى التقليدى. فهناك بعض الجهود التى بذلت لتحقق التوازن المطلوب فى هذا الصدد لتفعيل الناحية التعليمية داخل المتاحف بشكل لائق. من حيث الإهتمام بالمستوى التعليمى والثقافى لمديرى المتاحف وجميع العاملين فى هذا المجال لتحسين المستوى العلمى وتحقيق النتائج المرجوة . [٤]

وطبقاً للمجلس القومى للمتاحف (ICOM) يتميز المتحف بأنه مصدر رئيسى لخدمة المجتمع وعامل أساسى يساعد فى تطوره العلمى والثقافى بشكل عام. كما يفتح المتحف التعليمى الباب أمام العامة للبحث والعلم والمعرفة والتواصل

الإجتماعى والمعارض لكافة أغراض الدراسه والتعلم والمتعة. كما أن المتحف له دور فعال فى كشف البيئة المحيطة وتوضيح مبادئها وتأثيرها على الشعوب.
وهذا ما خصه بالذكر تحديداً (ICOM) عام 2005، قد تم شرح وتوضيح أهمية التعليم وما تضمنه منذ عام 1948 حيث أن التعليم لم يكن متطور بشكل ملحوظ . [٥]

ـ النظرية التعليمية :

إن هذا القرن ممتلىء بالتوسعات التعليمية العظيمة، سواء فى القطاعات الرسمية أو غير الرسمية على حد سواء. فهناك توسعات على أعلى مستوى فى كافة الأبحاث العلمية والإجتماعية التى تثرى العملية التعليمية بشكل أو بآخر. يمكن أن نقسم النظرية التعليمية إلى قسمين أساسيين: نظرية التعلم ونظرية المعرفة . [٦]
كل النظريات التعليمية تتضمن علم أصول التدريس طبقاً لمجوعة متنوعة من البرامج التعليمية. تتجمع النظريات التعليمية تحت لواء واحد لينتقل من المجهول إلى المعلوم. وهو المقصود به نقل الأفكار والمعتقدات إلى عكس مفهومها أى تغيير المعتقدات والمفاهيم المسلم بها والمكتسبة من البيئه بشكل عام. كما أن الأبحاث التى أجريت فى القرن الماضى كان لها دوراً فعالاً فى هذا الصدد.

ـ العلاقة بين التعليم والتعلم :

نجد أن هناك علاقة وثيقة بين التعليم والتعلم وهذه العلاقة لها مغزى قوي فى إظهار معني كلمة متحف ومدى التغييرات والخبرات التى أضيفت عليه وساعد فى إثراء العملية التعليمية.
فنجد أن مصطلح "التعليم" و"التعلم" يصف المتحف بشكل مقيد جداً، وكما ذكر سالفاً أن التعلم داخل المتحف أكثر متعة واثارة عن التعلم خارجه . [٧]

ـ التربية المتحفية فى المتاحف الجامعية :

لماذا تقام المتاحف ؟ وماهو الغرض من جميع جهود جمع القطع المتحفية وترميمها وعرضها ؟ من المؤكد أن الغرض ليس مجرد معالجة مهنية لمهام

الأمناء والباحثين فى هذا المجال المعنى، وليس هو التفاخر بتمثيل ثقافة الأمة أو حماية التراث العالمى المشترك الغرض فى واقع الأمر هو جعل ما يحتويه المتحف من معارف وما يقتنيه من مجموعات فى متناول الزوار وجعلهم يشاركون فى المعرفة والثقافة وبالتالى من المهم أن يهدف كل عمل من أعمال المتحف إلى خدمة الجمهور وتعليمه . [٨]

ومن هذا المنطلق نُظِر إلى المتاحف بوصفها مؤسسات تعليمية وتربوية وأماكن لتنفيذ أنشطة منظمة من خلال برامج تربوية مدروسة تسمى التربية المتحفية " Museum Education"

تهدف إلى تقديم مصادر جديدة للتعلم بأسلوب شائق ومختلف عن أساليب التعليم التقليدية . [٩]

والتربية المتحفية تمثل بؤرة معرفية مفاهيمية تربوية وترويحية، لها برامجها المنظمة والمعلنة التى يروج لها بجاذبية لإجتذاب شرائح مختلفة من الجمهور، عن طريق الأنشطة التثقيفية والعملية التى تشتمل على المحاضرات، والندوات، والعروض التحليلية ، وورش العمل والمسابقات، والتى يصاحبها خبراء للشرح وإجراء المقارنات . [٩]

ـ اختيار طرق التعليم والتعلم للتعليم المتحفى :

من الممكن استخدام عدة طرق مختلفة لشرح معنى القطعة المتحفية وفهمها بطريقة أفضل والتى تتضمن التفكير والإدراك والفحص والتعرف على الأشياء وهناك طرق تشجع الزائر على المشاركة الفعالة وفحص المجموعات أو المعروضات أو المادة الثقافية الفردية التى تخضع للدراسات والبحوث الجمالية والتقنية والإجتماعية فعلى معلم المتحف وهو (خبير المتحف بشأن الجمهور الذى يعرف احتياجات ورغبات معظم الزوار) أن يساهم بعلمه فى المناقشات التى تدور حول المعروضات مما يساهم بمعلومات مفيدة عن مدارك مختلف الزوار وقدراتهم الفكرية واهتماماتهم الأمر الذى يتطلب تعريفاً واضحاً للمجموعات

المستهدفة التى ستتم مخاطبتها وكيفية مخاطبتها ووضع برامج تعليمية ابتداء من عملية تحليل أى قطعة ، ويمكن تقديم الكثير من النصائح المختلفة للزوار ويجب ألا نعتبرهم مجرد مستهلكين للثقافة والمعرفة بل شركاء فى عملية التعلم وهكذا يكون دور المتحف فى نقل مختلف القيم والجوانب المتعلقة بالثقافة أو التاريخ الطبيعى أو الفن أو العلوم إلى الزائر بطريقة تجعله يفهمها ويقارن فيما بينها حسب خبرته الخاصة . [١٠]

ـ الزيارات بمرافقة مرشد والحوار التعليمى :

إن المنهج الكلاسيكى هو أحد طرق التعليم فى المتحف ويعتمد على حد كبير على طريقة الكلام لكن يجب الإبتعاد عن أسلوب المحاضرة الرسمية التقليدية المستخدمة فى تعليم الكبار واستخدام أسلوب الحوار أو المناقشة بطريقة أقل رسمية مع الزوار الذين ليست لهم خلفية أكاديمية (تخصصية)، ولكى نبتعد عن أسلوب الأسئلة والأجوبة التقليدى يستخدم أشكالاً مختلفة من التفاعل عبر الإهتمام باستخدام جميع الحواس وتشجيع المشاركين على التعبير عن أنفسهم وبدلاً من الشرح فى كل شىء للدارسين يتركهم يستكشفون الأشياء بأنفسهم ويصفونها ويجربون الأشياء التى تساعدهم على استكشاف معانيهم بأنفسهم . [١١]

ـ تنمية القدرات الإستكشافية للزوار :

يعد مفهوم الإستكشاف إسهاماً كبيراً في عملية التعليم الفعالة بخصوص المتعلمين، فهي تعتمد على أسلوب يجعل التعليم تسلية وليس فرضاً، بحيث يتكاتف المتعلمون ويتفاعلون مع المعروضات والعينات، وهذا النشاط التعليمي الإيجابي من قبل المتعلم كافٍ لتنمية المهارات لديه، ويعمل على اتساع مداركه وإكسابه الثقة بالنفس، وغالباً ما يستخدم بعض الوسائل السمعية والبصرية التي تساعد على فهم الأشياء الغامضة وشرحها، حيث تعمل هذه الوسائل على تعزيز التعلم لدى المتعلم . [١٢]

ومن أجل ذلك يجب أن يضم المتحف قاعات للعروض الدائمة بها وحدات متفاعلة، وبها مساحات تتم فيها الأنشطة الاجتماعية والإنتاجية، حيث يتجول المتعلمون خلال هذه المساحات، وتتاح لهم الفرص للعب والقيام بأدوار مختلفة، وأنشطة متعددة تساعدهم في التفهم والتفكير في مواقف المشاكل المرتبطة بالكيان المادي والاجتماعي للحياة المعاصرة في العالم، وحل هذه المشكلات. [١٣]

ـ ساحات التعلم :

لابد أن يكون تطوير التعليم فى المتحف مصحوباً بتوفير الأماكن الكافية للعملية التعليمية وقد تكون هذه الأماكن فى مناطق العرض التى تركز على المعروضات التعليمية المصممة لتطوير موضوع معين وقد تتم فى حجرات الدراسة أو فى الورش أو فى أية أماكن أخرى مناسبة للتعليم ويستطيع من خلالها المتحف جذب وتنشيط للزيارة المتحفية. [١٤]

ـ قاعات خاصة للطلاب :

قاعة خاصة للطلاب للتعلم

توجد ببعض المتاحف قاعات تخص الطلاب خاصة المتاحف المركزية، والتي غالباً ما توجد بالمعاهد والكليات، وهي تهدف إلى خدمة التعليم والبحث العلمي وتدريب الطلاب ذوي الصلة بالمتحف، ويتم فيه عرض بعض النماذج المقلدة

لمعروضات المتحف الأصلية بغرض الدراسة، كما يتم عرض لوحات وماكيتات لمعالم وآثار مشهورة وصور فوتوغرافية، وفي بعض المتاحف توجد أماكن للعرض الضوئي عن طريق الشرائح .[١٥] أنظر الشكل رقم (١)

ـ المعارض التعليمية والتثقفية :

وفى مقابل التقديم التقليدى الذى يركز أكثر على المعروضات هناك العرض التعليمى أو التربوى الذى يركز أكثر على المناقشات عن طريق التأكد على أن الأهداف التعليمية واضحة تماماً فى هذا المفهوم ، وأن المحتوى والتصميم والمساعدة التعليمية على ارتباط وثيق بالمناقشة المراد إجراؤها ، وأن الأولوية تكون للمجموعات المستهدفة التى يوجه إليها العرض . ويجب استخدام أنماط فعالة من التعليم مع هذه المعارض التعليمية .[١٦]

ـ الوسائل التعليمية :

يتيح هذا القسم لجميع زائري المتحف من طلاب وباحثين ومتخصصين استعمال الوسائل السمعية والبصرية، لذلك يجب أن يحتوي القسم جميع مستلزمات الاستقبال والتخزين والعرض والتسجيل، سواء من المواد أم الأجهزة التعليمية، كما يجب أن يحتوي القسم بعض الحقائب التعليمية التي تشتمل على بعض النماذج وبطاقات التعريف والأفلام الصوتية وغيرها من الوسائل التي تساعد المعلم في شرح موضوع ما أو تطبيق حقائق علمية .[١٧]

ـ ورش العمل العلمية :

ورش العمل التى ينفذها متخصصون من أصحاب المهن الحرة مثل الفنانين أو العلماء أو المهنيين تقدم لزوار المتحف إمكانية استكشاف الأساليب المتعلقة بصناعة الأعمال الثقافية أو المحافظة عليها أو إجراء البحوث والدراسات العلمية وعلى سبيل المثال يمكن لرواد المتحف العمل وإعادة استكشاف بعض المهن التقليدية مثل صناعة الفخار والصناعات الخشبية والمعدنية، ويمكن أن يفهم الناس

الفن بطريقة أفضل إذا مارسوا الأساليب الأصلية التى كانت تتبع فى الطباعة والرسم والنحت والتصوير الفوتوغرافى كما يعتبر استخدام للمجهر والقيام بأعمال الحفر والتقاط الصور وجمع المعلومات المنظمة عن القطع المتحفية لأغراض البحث مقدمة للنشاط العلمى . ففى حصص الفن مثلاً تعتبر التحف الفنية وخاصة للطلاب وسيلة حيوية لتوصيل مبادىء تذوق الجمال والتصميم " الشكل واللون والمكان والتركيب " وهنا يمكن بسهولة اتخاذ الخطوات الولى لتطوير القدرات الإبداعية والحس الفنى ولا تقتصر دروس الرسم والتصوير الزيتى على برامج المتاحف التعليمية (الجامعية) فحسب بل لها مكانتها ايضاً فى متاحف التاريخ الطبيعى والثقافى ومن الممكن أن يؤدى تحويل المعروضات التى تمت مشاهدتها والمعلومات التى تم اكتسابها إلى شكل فنى من شأنه تعميق التجربة التعليمية والحسية . [١٨]

ـ لمس المعروضات والأستعراض التعليمى :

هناك متاحف تشجع الزائر على لمس قطع تراثية حقيقية مختارة تحت شروط معينة مثل العروض الخاصة أو لمس عينات من المواد التى تصنع منها القطع المعروضة كالحجر أو فراء الحيوانات أو المنسوجات وهذه الطريقة لا تقدر بثمن خاصة للطلبة والمكفوفين وضعاف البصر.

كما يمكن للخبراء والمهنيين والفنانين والمتخصصين والمرممين استعراض حرفهم وفنونهم أمام زوار المتحف وهنا يكون للتفاعل مع الزوار دور مؤثر فى العملية التعليمية . [١٩]

الخلاصة :

ويرى الباحث مما سبق مدى فاعلية وظيفة المتحف التثقيفية والتربوية، التى تعتمد بشكل أساسي على إثراء العملية التعليمية بالخبرات الملموسة، والتي تزيد من فعالية التعليم وحيويته وربطه بالحياة، مما يجعل للتعليم قيمة ومعنى، وأهميته

في مساندة العملية التعليمية وتدعيمها بشكل يتطلب النظر مرة أخرى إلى وضع المتاحف على خريطة المناهج الدراسية، حيث لابد من إعادة توظيف المتاحف في المخططات التربوية، وذلك بإعداد خطط مدروسة على أسس علمية واضحة لدمج المتاحف في قالب المناهج بمختلف المراحل الدراسية، ومن الناحية الثقافية يجب على المؤسسات التربوية أن تستخدم المتاحف بوصفها مراكز ثقافية تربوية فالمتاحف الآن تعد مؤسسات تعليمية طويلة الأمد تساعد في تشكيل الهوية الثقافية والعلمية للمجتمع، وخاصة الناشئة والشباب، ولذلك يجب ألا يقف دور المتحف عند حد جمع الموروث والحفاظ عليه وعرضه، بل يجب أن يتخطى ذلك إلى إعداد البرامج التربوية والتعليمية التثقيفية التى تعمل على نشر الثقافة لدى جمهوره، بما يسهم فى تطوير طاقات الأفراد الاجتماعية والثقافية وتنميتها بطرق جديدة ومبتكرة تحفزعلى الإبداع والتميز .

هوامش البحث

1 Coleman, L. V .,Manual for Small Museums. New York: G. P. Putnam's Son. 1927,p 392.

2 Alexander, E. P. ,Museums in Motion: An Introduction to the History and Function of Museums. Nashville: American Association for State and Local History,1979.p37.

3 Anderson, D: A Commonwealth Museums and Learning in the United Kingdom.London: Department of National Heritage,1997,p19.

4 Hein, G. E : The maze and the web implications of constructivist theory for visitor studies, 1998,p58.

5 Chadwick, A. & Stannett, A: Museums and the Education of Adults. Leicester:
National Institute for Adult Continuing Education,1995.

6 Falk J. H. & Dierking, L. D.: Learning from the Museum. Walnut Creek, CA, Alta Mira Press.2000.p102.

7 Dewey, J.: Democracy and Education. New York: Macmillan, 1944.

٨ المجلس الدولى للمتاحف ،اليونسكو، دليل علمى،إدارة المتاحف: ٢٠٠٧ ، ص ١١٩ .

٩ دينا إسماعيل : المتاحف التعليمية الإفتراضية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩ ص ٤٣ .

١٠ سرية صدقى : الدور التربوي والثقافي للتربية المتحفية ، المتحف الحي وحلقات التواصل التراثى للمرصد الثقافى ،أحياء الحرف الشعبية فى مصر، دراسة مقدمة لمؤتمر الايكوم الدولى بعنوان التربية المتحفيةوالتغير الاجتماعى القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ٢ .

١١ عيد الدسوقي : جودة واعتماد مؤسسات التعليم، الواقع ومتطلبات المستقبل، المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية،المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ٢٠١٠ ، ص١٢١ .

12 Hooper, Green: The Educational Role of Museum, University of London.U.K,1994. p 37.

13 Din Herminla, Welgsin: A History of Children Museums in The United States for Art 1899-1997 14Education on Museum, The Lincoln Center Institutes Program for Training Teachers,1998,p25.

١٥ المجلس الدولى ،اليونسكو، دليل علمى،إدارة المتاحف٢٠٠٧ ، ص ١٢٢ .

١٦ دينا إسماعيل :المتاحف التعليمية الإفتراضية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩ ص ٣ .

١٧ راجشمير سينثيار : فهم المدينة، متحف أباستو في بيونس أيرس، ترجمة :إيناس عفت، مجلة المتحف الدولي ٢٠٥ ،عدد١ ،٢٠٠٠، ص ١٢٣.

١٨ دينا إسماعيل :المتاحف التعليمية الإفتراضية، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩ ص ٣٤ .

١٩ المجلس الدولى للمتاحف ،اليونسكو، دليل علمى،إدارة المتاحف ، ٢٠٠٧ ، ص ١٢٦ .